المضامين الإدارية المستوحاة من قصة ذي القرنين في سورة الكهف في القرآن الكريم

د. نبيل مصطفى شعت

أستاذ إدارة الأعمال المساعد- جامعة القدس المفتوحة – فلسطين

ملخص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مفاهيم وأصول إدارية تضمنتها قصة ذي القرنين التي وردت في سورة الكهف في القرآن الكريم ، وإلى بيان أن الإسلام كان سباقا إلى اشتماله على الأصول والمبادئ والقواعد الإدارية السليمة لجميع نواحي الحياة الإنسانية قبل أن يظهر ما يعرف بالفكر الإداري الحديث بقرون كثيرة ، كذلك جاءت هذه الدراسة لحث المعنيين إلى بذل المزيد من الجهود لعمل دراسات إدارية تأصيلية استنادا إلى الشريعة الإسلامية السمحاء، والتصدي لمحاولات نسب الفكر الإداري الإسلامي إلى غير مصادره الأصلية ، والدعوة إلى تطبيق الفكر الإداري الإسلامي من أجل النهوض بالأمة وازدهارها . وقد تم استخدام المنهج الاستنباطي المتفرع من المنهج التاريخي حيث يسير بالعقل من الأمور اليقينية والمسلمات إلى استنباط أمور أخرى دون التجريب (كما في هذه الحالة) . وقد تم التعرف على العديد من المفاهيم الإدارية المهمة والضرورية للتطبيق في حياتنا العملية .

1

مقدمة :

جاء الإسلام – الدين الخالد – لينقذ الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن الظلمات إلى النور، ومن الجاهلية والتخلف إلى العلم والحضارة والازدهار ومن الضلال إلى الرشاد (قَد جَاءَكم مِنَ اللهِ نورٌ وَكتابٌ مُبينٌ) [المائدة : ١٥] . وقد اشتمل الإسلام على معالجة كل كلية أو جزئية تتصل بأمور الدنيا والدين، ووضع لها الحل الأمثل الذي إذا ما اتبع يؤتي الثمار المرجوة منه ، حيث يقول الله تعالى في كتابه العزيز (مَا فَرَّطْنا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) [الأنعام : ٣٨] ويقول أيضا (وَنَزَّلنا عَلَيكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِ شَيءٍ وَهُدى وَرَحْمةً وَبُشرَى للمُسْلِمين) [النحل : ٨٩] (وَلَقَد صَرّفْنا فِي هَذا القُرآن للنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) [الكهف : ٥٤] .

وفيما يخص موضوع هذا البحث فإننا نجد القرآن الكريم زاخرا بالمضامين الإدارية وسباقا إلى إرساء الأصول والقواعد الإدارية الصحيحة لجميع المجالات من إنتاج وموارد بشرية وتجارة وتعليم .... على سبيل المثال . لذا فإن العلم بهذه المضامين وتطبيقها في مجالاتها يصبح ضرورة من أجل بلوغ وتحقيق الأهداف المنشودة بأفضل السبل وأيسرها .

مشكلة البحث :

إن الكتابة في موضوع المضامين الإدارية الواردة في الفكر الإسلامي بشكل عام وفي القرآن الكريم بشكل خاص قليلة، وأصبح بعض مكونات الفكر الإداري الإسلامي ينسب في وقتنا الحاضر إلى الفكر غير الإسلامي .

يبرز السؤال الرئيس التالي :

ما هي المضامين الإدارية الواردة في قصة ذي القرنين كنموذج – بسورة الكهف ؟ ويتفرع منه :

ما السبيل إلى إثراء الكتابة في الفكر الإداري الإسلامي ؟

كيف يمكن الحفاظ على الفكر الإداري الإسلامي منسوبا إلى مصادره ؟

أهداف البحث :

- التعرف على المضامين الإدارية الواردة في قصة ذي القرنين بسورة الكهف .
- لفت أنظار المعنيين بدراسة كتاب الله إلى الاهتمام بالكتابة في الفكر الإداري الإسلامي بشكل عام والمضامين الإدارية الواردة في القرآن الكريم بشكل خاص .

- التأصيل الإسلامي للفكر الإداري .
- توعية المسلم بالمبادئ والأسس والقيم المثالية التي تضمنها الفكر الإداري الإسلامي .

أهمية البحث :

تنبع أهمية البحث من أهمية معرفة وفهم المضامين الإدارية التي وردت في القرآن الكريم (قصة ذي القرنين كنموذج) .

ضرورة تطبيقها في مجالات العمل المتعددة .

الوصول إلى أفضل النتائج تبعا لذلك .

منهج البحث :

يعتمد الباحث المنهج الاستنباطي- المنهج التاريخي لكونه الأنسب لهذا النوع من الدراسة حيث يسير بالعقل من قضايا يقينية أو مبادئ ثابتة مسلم بها حتى يستخلص منها قضايا أخرى دون الحاجة إلى التجريب .

حدود البحث :

يلتزم الباحث في الدراسة الحالية بدراسة وتدبر قصة ذي القرنين ومعرفة المضامين الإدارية الواردة فيها.

الدراسات السابقة :

١ **دراسة حمدي بن حمزة أبو زيد :** (فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج) ١٤٢٥هـ ، يتحدث فيها عن شخصية ذي القرنين على أنه (أخناتون) أحد ملوك مصر ، ومسقط رأسه ومكان العمل الجبار الذي حجز خلفه يأجوج ومأجوج .(١)

٢ **دراسة د. عبد المنعم النمر** : (ذو القرنين شخصية حيرت المفكرين أربعة عشر قرنا وكشف عنها أبو الكلام أزاد) مجلة العربي العدد ١٨٤، يبحث في شخصية ذي القرنين استنادا إلى بحث أبو الكلام أزاد الذي يخلص إلى أنه قورش الملك الفارسي .(٢)

٣دراسة عثمان قدري ماكانسي :(تأملات تربوية في قصة ذي القرنين) موقع مداد ، ٢٠٠٧/١م ، يتناول القصة من الزاوية التربوية .(٣)

٤دراسة ابن كثير : (البداية والنهاية – الجزء الثاني- خبر ذي القرنين) يورد فيها روايات مختلفة عن شخصية ذي القرنين واسمه وسبب تلقيبه وتفسير للآيات .(٤)

٥ دراسة د. محمد راتب النابلسي : (موسوعة النابلسي) بتاريخ ٢٤ – ١ – ١٩٨٧ حيث يقدم تفسيرا للآيات التي وردت فيها قصة ذي القرنين ويخلص إلي استنباط بعض المواعظ : الأخذ بالأسباب ، الطموح ، التواضع لله .(٥)

٦دراسة خالد آل فارس : (لمحات من صفات القادة في قصة ذي القرنين) حيث يذكر بعض الصفات المستخلصة للقائد أو المدير الناجح.(٦)

٧ دراسة د.السيد حامد السيد : (أسس القيادة والإدارة في ضوء قصة ذي القرنين) يعرض الأسس والمهارات الواجب توفرها في القائد أو المدير الناجح ، في ضوء أحداث قصة "ذي القرنين" (٧)

تعقيب على الدراسات السابقة : بعض هذه الدراسات أورد روايات مختلفة حول اسم ذي القرنين وشخصيته وسبب تلقيبه بهذا اللقب مع إعطاء تفسير للآيات الخاصة بالقصة دون أن تتطرق إلى المضامين الإدارية والتقديم لها ، والبعض الآخر ذكر مضامين إدارية دون أن يعطي توضيحا للقصة ولم يذكر الآيات وتفسيرها ولم يعط تقديما لهذه المضامين الأمر الذي قد يحدث ضبابية لدى القارئ في فهم المراد .

تتميز الدراسة الحالية عن هذه الدراسات المذكورة بأنها تتلافى أوجه النقص الحاصل في النوعين المشار إليهما أعلاه ، حيث تعطي تقد يما وفق الأدب الإداري، ثم تتناول قصة ذي القرنين، وتذكر الآيات التي وردت فيها القصة وتفسيرا لهذه الآيات، ثم التعرف على المضامين (المفاهيم) الإدارية التي اشتملت عليها قصة ذي القرنين ... الخ .

يتكون هذا البحث من مبحثين رئيسين، ويشمل كل مبحث عدة مطالب :

المبحث الأول : الإطار النظري

المطلب الأول : أهمية وتعريف الإدارة

أهمية الإدارة : إن الإدارة تمس وتؤثر في حياة وممارسات كل إنسان . فالإدارة تجعل كل فرد منا على علم تام بقدراته ، وتدله على الطريق الأفضل لتحقيق غاياته ، كما أنها تقلل من العقبات التي تعترض طريقه .

ويتميز علم الإدارة عن أي علم آخر ، في أن كل فرد يعلم بعضا أو جزءا من هذا العلم كنوع من المعلومات العامة ، ويبدو هذا واضحا من خلال المحاولات الغريزية للإنسان للتأثير في الآخرين والتأثر بهم ، وذلك لأن عملية التأثير المتبادل إنما تعني في الأصل ممارسة فعلية للإدارة .

وعلى الرغم من إمكانية وجود القليل من المشروعات التجارية وغير التجارية التي استطاعت تحقيق بعض النجاح بدون إدارة فعالة ، إلا أن هذا الوضع لا يشكك من حقيقة أن المستوى الحضاري الذي حققه الإنسان ممثلا في كفاءة منظمات الأعمال والمنظمات الحكومية والاجتماعية والسياسية وغيرها ، هذا المستوى الحضاري ما كان يتحقق إلا بجهود الإدارة .

إن إسهام الإدارة في تنمية الحضارة الإنسانية إنما يأتي من خلال التأثير الذي تحدثه في الجهد الإنساني من حيث زيادة كفاءته ، مما يؤدي بدوره إلى تحسن معدات العمل ، أماكن العمل والمنتجات والخدمات والعلاقات الإنسانية . بالإضافة إلى ذلك فإن الإدارة تنمي ملكات التخيل والإبداع والتطوير ، ومن ثم فهي الأساس الأول للتقدم الإنساني . إن الإدارة تعني النظام العام ، وهذا يعني أنه من خلال الإدارة يمكن الربط بين أحداث متفرقة ومعتقدات متباينة ، ووضعها جميعا في شكل علاقات ذات معنى تستخدم في تحليل العديد من المشاكل ، والوصول إلى أفضل البدائل الممكنة للتعامل مع تلك المشاكل .

لقد أصبح من الحقائق المسلم بها وجود معامل ارتباط قوي بين تطور الإدارة وبين مستوى التقدم الذي يحققه بلد ما . هذه الحقيقة تبدو واضحة عند المقارنة بين بلد نام وبلد آخر أكثر تقدما . فهناك العديد من الدول النامية التي تملك كما هائلا من الموارد الاقتصادية والبشرية ، ولكن نظرا لانخفاض مستوى الخبرة الإدارية بقيت في موقع التخلف بالمقارنة مع دولة أخرى تملك حجما أقل من الموارد ، ولكنها تتميز بارتفاع مستوى الخبرة الإدارية . ولعل السر في ذلك يكمن في أن المعرفة الإدارية إنما تعني الاستغلال الأفضل للموارد بما يحقق إشباعا أكبر للعديد من الحاجات الإنسانية . بالإضافة إلى كل ما سبق ، فإنه لا يوجد بديل آخر

للإدارة . فالتحديد العلمي والواقعي للأهداف ، والاختيار السليم للموارد مع الكفاءة في استخدامها من خلال التخطيط والتنظيم والتشكيل والتوجيه والرقابة ، كل ذلك يتطلب مستوى مرتفعا من التمييز الشخصي والموضوعي ، مع مستوى محسوس من الشجاعة في مواجهة الظروف المتميزة . وهذا لا يتوفر إلا في أفراد الإدارة . حقيقي أنه من وقت لآخر يتم اختراع العديد من الوسائل والأجهزة التي تساعد الإدارة في أداء مهامها – ولكن مهما تعددت هذه الوسائل ، فإنها تبقى في نطاق العامل المساعد للإدارة ، ولا يمكن أن تكون بديلا عنها، بل إن تعدد هذه الوسائل إنما يزيد الحاجة إلى الإدارة.(٨)

تعريف الإدارة : لقد عرف معنى الإدارة بعدة طرق مختلفة ، مما يجعل من الصعوبة الوصول إلى تعريف شامل لها يحوي كل هذه المعاني المختلفة . وحتى يمكننا الإلمام بمعنى الإدارة فإننا سنقوم أولا باستعراض بعض تعاريفها الشائعة (٩).

تعرف موسوعة العلوم الاجتماعية Encyclopedia of the Social Science الإدارة " بأنها العملية التي يمكن بواسطتها تنفيذ غرض معين والإشراف عليه " . كما تعرف الإدارة أيضا بأنها الناتج المشترك لأنواع ودرجات مختلفة من الجهد الإنساني الذي يبذل في هذه العملية . ومرة أخرى فإن تجمع هؤلاء الأشخاص الذين يبذلون معا هذا الجهد في أية منشأة يعرف " بإدارة المنشأة " . ويقول رالف دافيز Ralph Davis (الإدارة هي عمل القيادة التنفيذية) . ويذكر آبلي L.A. Appley الآتي : (لقد عرفت الإدارة بعبارة بسيطة جدا هي بأنها تنفيذ الأشياء عن طريق جهود أشخاص آخرين . وتنقسم هذه الوظيفة على الأقل إلى مسؤوليتين أساسيتين : إحداهما التخطيط، أما الأخرى فهي الرقابة) . ويعرف جون مي John F. Mee الإدارة بأنها: (فن الحصول على أقصى النتائج بأقل جهد حتى يمكن تحقيق أقصى رواج وسعادة لكل من صاحب العمل والعاملين مع تقديم أفضل خدمة ممكنة للمجتمع) .

ويقول هنري فايول Henri Fayol (إن معنى أن تدير هو أن تتنبأ ، وتخطط ، وتنظم ، وتصدر الأوامر ، وتنسق ، وتراقب) .

ويعرف بيترسون وبلومان Elmore Peterson and E.G. Plowman الإدارة بأنها: (أسلوب يمكن بواسطته تحديد وتوضيح أغراض وأهداف جماعة إنسانية معينة) .

أما فردريك تايلور Fredrik Taylor فيقول : (إن الإدارة هي أن تعرف بالضبط ماذا تريد ، ثم تتأكد من أن الأفراد يؤدونه بأحسن وأرخص طريقة ممكنة) .

ويقول كونتز وأودونال Koontz and O'Donnell : (إن الإدارة هي وظيفة تنفيذ الأشياء عن طريق الآخرين) .

من التعاريف السابقة للإدارة يمكن استخلاص بعض الملاحظات المهمة والمتصلة بالموضوع ، وأهمها الآتي:

أولاً : تتعامل كل التعاريف مع الإدارة عند تطبيقها على الجماعة وليس على الفرد .

ثانياً : تشير كل التعاريف بطريقة صريحة أو ضمنية إلى أن الهدف ضروري ولازم بالطبيعة للإدارة .

ثالثاً : توضح بعض التعاريف بطريقة صريحة أن الإدارة ليست تنفيذا للأعمال بل الأعمال تنفذ بواسطة الآخرين .

من استعراض التعاريف السابقة وأيضا الملاحظات الثلاث أعلاه يمكن القول إن الإدارة عملية متميزة تتكون من التخطيط والتنظيم والتشكيل والتوجيه والرقابة ، تنجز لتحديد وتحقيق الأهداف عن طريق استخدام القوى البشرية والموارد الأخرى . بعبارة أخرى هناك أنشطة متميزة تكوِّن العملية الإدارية، هذا بالإضافة إلى أن هذه الأنشطة تؤدي لتحقيق الأهداف المحددة، وتتم بواسطة الأفراد بالتعاون مع الموارد الأخرى . فالموارد الأساسية تتعرض للوظائف الجوهرية للإدارة من تخطيط وتنظيم وتشكيل وتوجيه ورقابة، لتقوم بتحقيق الأهداف المرجوة .

ومن المفيد أن نعلم أن الإدارة نشاط، ومن يقوم بهذا النشاط هم المديرون أو أعضاء الإدارة، فهم الذين يتولون القيام بعملية تحويل الموارد غير المنظمة لتحقيق أهداف مفيدة وفعالة . وهذا يتأتى عن طريق استخدام الموارد المادية بفاعلية مع دفع الأفراد وحفز هممهم لغرض الحصول على كامل قدراتهم وطاقاتهم لتحويل أحلامهم لواقع أفضل . ولذا فيمكن اعتبار الإدارة أكثر الأنشطة الإنسانية شمولا وأهمية وحيوية (١٠).

المطلب الثاني : سمات الإدارة الإسلامية

لم تعرف البشرية إدارة أعظم من إدارة النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- بل إن المدقق في سيرة النبي- عليه الصلاة والسلام- يستطيع أن يقول بكل ثقة واطمئنان إنه عليه الصلاة والسلام أسس لإدارة لم تعرفها البشرية قبله ، يمكن أن تُطلق عليها "الإدارة الإسلامية"، والتي تُرجمت وأظهرت جدواها من خلال قيادة النبي- عليه الصلاة والسلام الذي حقَّق الله سبحانه وتعالى به جميع الشروط الواجبة للمدير والقيادي الناجح، فهو صلى الله عليه وسلم (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ❖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ❖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) [النجم : ٥٣] ، وطبق ما عُلم بكل خلق طيب (وإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم :٤] ، و"الموظفون" هم الصحابة- رضوان الله عليهم أطاعوا مديرهم حق الطاعة، واقتدوا به حتى أصبحوا "مديرين" ناجحين لتمسكهم بالأنظمة واللوائح والقواعد التي أرساها لهم . لو نظرت في أي جانب من جوانب الإدارة أو التخطيط أو القيادة أو الاتصال أو التحفيز أو الرقابة أو التنظيم أو الإبداع، وغيرها الكثير الكثير، لوجدتها ظاهرة في صورة مثالية وبسيطة وتلقائية في آن واحد ، خصوصاً في قصص الأنبياء وقصص بعض المخلوقات التي ذُكرت في القرآن ، كقصة الهدهد ، والنمل ، والنحل ، وكذلك في تطبيق المصطفى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام ، وخلفائه الراشدين الكرام رضي الله عنهم . بل لو أمعنت النظر جيداً في القرآن والسنة فإنك لتجد الإدارة الإسلامية لا تُضاهى في بناء أعضائها وجودة عملياتها وفعالية مخرجاتها.

في هذا البحث نسلّط الضوء على أهم الخصائص التي تتميز بها الإدارة الإسلامية عن الإدارة المعاصرة، وما تتفوق به عليها، مع ذكر أهم السمات التي تتمتع بها.(١١)

سمات الإدارة الإسلامية :

أولاً: الإدارة الإسلامية عالمية النظرة كالإسلام، فهي تدعو الإنسان للأخذ بالأسباب في الدنيا والعمل الجاد لإسعاد نفسه فيها.

ومع ذلك عليه بالعمل الخالص لمقابلة المصير المحتوم في الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم، عامراً بالإيمان الصادق والعمل الخالص بالدنيا. ويترجم هذا المعنى السامي الإمام علي-كرم الله وجهه بقوله: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً".

ثانياً: نظرة الإدارة الإسلامية للتنظيم نظرة شاملة لجميع أوجه النشاط البشري؛ فهي بذلك تهتم وترعى

كل أنواع النشاط وتقويه وتصلحه وتسخره للناس كافة حتى يستعينوا بذلك على عبادة الله عز وجل، ولحياتهم في الدنيا والآخرة (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) [البقرة :١٩٧] .

ثالثاً: الإدارة الإسلامية ربانية، تطرح وتهزم كل الأطروحات والتنظيمات البشرية الأخرى، شرقية أو غربية ؛ لأنها من لدن عليم خبير بأحوال البشر، يعلم السر وأخفى، أما البشر فهم مجتمعون أو متفرقون أضعف من أن يعرفوا السر وما هو أخفى من السر من أحوال أمثالهم من العوالم الأخرى .

رابعاً: اهتمام الإدارة الإسلامية بالفرد والجماعة على أساس أنهم جميعاً أساس المجتمع الذي يجب أن ينظم أو يطهر سلوكه الظاهري والباطني، وبذلك يتحقق الخير والمنفعة للفرد والجماعة والمجتمع دون تمييز.

خامساً: التفكير السليم القويم سمة وميزة للإدارة الإسلامية، والإداري المسلم الحق هو الذي يتمعن ويفكر في آيات الله وآلائه. يقول تعالى في كتابه الحكيم في سورة عمران: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران: ١٩١].

سادساً: الفكر الإداري الإسلامي طُبق عملياً، وأثمر ينعه، وجُنيت ثماره منذ عهد القدوة الأول صلى الله عليه وسلم، وهذا التطبيق المتكامل شمل كافة المؤسسات (الإدارات والدواوين) التي ظهرت في عهده-صلى الله عليه وسلم وفي عهد من جاء من بعده من الخلفاء الراشدين الكرام. وإن إمكانية تكراره سانحة لأن مصادره باقية، وهي القرآن الكريم (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت : ٤٢]، والسنة النبوية التي لا ينطق صاحبها عن الهوى (إِنْ هُوَ إِلاّ وحيٌ يُوحَى) [النجم : ٤] .

يتميز التصور الإسلامي للإدارة عن النظريات الإدارية المعاصرة بالخصائص التالية:

- أهم مميزات التصور الإسلامي للإدارة التركيز على جميع المتغيرات التي تؤثر على العملية الإدارية داخل المنظمة وخارجها.
- الاهتمام بالعوامل الإنسانية والروحية والاجتماعية والاقتصادية، كما تعمل على إشباع حاجات الفرد باشتراكه في العملية الإدارية بحسب استطاعته العقلية.
- تطبيق الشريعة الإسلامية في العبادات والمعاملات والأحكام وفي عمارة الأرض ومن أهدافها:
  - ربط الإدارة بالبيئة الاجتماعية المحيطة بها والتي يُفترض أن تكون إسلامية.

- توفير المتغير الاجتماعي.
- تطبيق مبدأ الشورى.
- توفير المقومات الاقتصادية والمالية والضرورية للفرد.
- تنظيم العمل الإداري وتحديد المسؤولية والواجبات الهرمية والسلطة في العمل (١٢)

المبحث الثاني : الإطار التطبيقي

المطلب الأول : تعريف بسورة الكهف والقصص التي وردت فيها .

السورة : مكية	رقم السورة : ١٨
عدد آياتها : ١١٠ آية	عدد حروفها :6425 حرفا

وقصص سورة الكهف الأربعة يربطها محور واحد وهو أنها تجمع الفتن الأربعة في الحياة (١٣) :

فتنة الدين (قصة أهل الكهف) .

فتنة المال (صاحب الجنتين) .

فتنة العلم (موسى عليه السلام والخضر) .

فتنة السلطة (ذو القرنين) .

فتنة الدين : قصة الفتية الذين هربوا بدينهم من الملك الظالم فآووا إلى الكهف حيث حدثت لهم معجزة إبقائهم فيه ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا، وكانت القرية قد أصبحت كلها على التوحيد. ثم تأتي آيات تشير إلى كيفية العصمة من هذه الفتنة:

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ❖ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) [الكهف : ٢٨ ٢٩] .

فالعصمة من فتنة الدين تكون بالصحبة الصالحة وتذكر الآخرة.

فتنة المال : قصة صاحب الجنتين الذي آتاه الله كل شيء فكفر بأنعم الله وأنكر البعث فأهلك الله تعالى الجنتين. ثم تأتي العصمة من هذه الفتنة (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ

بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ❖ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) [الكهف ٤٥ ٤٦] .

العصمة من فتنة المال تكون في فهم حقيقة الدنيا وتذكر الآخرة.

فتنة العلم : قصة موسى عليه السلام مع الخضر، وكان ظنّ أنه أعلم أهل الأرض، فأوحى له الله تعالى بأن هناك من هو أعلم منه، فذهب للقائه والتعلم منه، فلم يصبر على ما فعله الخضر، لأنه لم يفهم الحكمة في أفعاله ، وإنما أخذ بظاهرها فقط .وتأتي آية العصمة من هذه الفتنة:

(قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) [الكهف : ٦٩] .

والعصمة من فتنة العلم هي التواضع وعدم الغرور بالعلم .

فتنة السلطة : قصة ذي القرنين الذي كان ملكاً عادلاً يمتلك العلم، وينتقل من مشرق الأرض إلى مغربها بين الناس ويدعو إلى الله وينشر الخير حتى وصل لقوم خائفين من هجوم يأجوج ومأجوج فأعانهم على بناء سد لمنعهم عنهم، وما زال السدّ قائماً إلى يومنا هذا. وتأتي آية العصمة (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ❖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أنهم يحسنون صنعا) [الكهف: ١٠٣ ١٠٤] .

المطلب الثاني :

دراسة وتدبر قصة ذي القرنين

وتشمل نص الآيات القرآنية ومن هو ذو القرنين ومعنى الآيات القرآنية .

وردت هذه القصة القرآنية ما بين الآيات الكريمات ٨٣- ٩٨ من هذه السورة العظيمة .

سيتم التقيد في هذه الدراسة بالمنهج القرآني وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الآيات القرآنية :

لقد حكى الله قصة ذي القرنين في سورة واحدة من سور القرآن ، ألا وهي سورة الكهف، قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ❖ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ❖ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ❖ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا❖ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ❖ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ❖ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ❖ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ

وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ❖ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ❖ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ❖ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ❖ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ❖ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ❖ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ❖ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ❖ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) [الكهف:٩٨٨٣].

من هو ذو القرنين؟

نال ذو القرنين شرفا عظيما عندما ورد ذكره في القرآن الكريم مقرونا بالتمكين له من الله العلي القدير حيث كان عبدا مؤمنا صالحا وحاكما عادلا يدعو إلى الله، ويسعى إلى إقامة العدل والإصلاح ونشر الخير ومحاربة الفساد حيثما حل في بقاع الأرض ابتغاء مرضاة الله عز وجل الذي آتاه من كل شيء سببا .

ولما كان القرآن الكريم يركز في قصصه على إعطاء الحكم والعبر وإرساء القواعد التي تنفع الناس في حياتهم وتيسر لهم إدارة شؤون معيشتهم في الدنيا، وأن يقدموا ويتزودوا من الدنيا بالتقوى لآخرتهم بامتثالهم لأوامر الله عز وجل فلم يهتم القرآن الكريم بأمور لا تنفع الناس ، لذلك فإننا نجد في قصة ذي القرنين بعض الأمور غير المعرفة (مبهمة) التي لا تنفع الناس ، فالأسئلة مثل : من هو ذو القرنين؟ وأي ملك كان ؟ وفي أي عصر ولد؟ وأي بلاد فتح ؟ وما هي رحلاته ؟ وما هو أصل يأجوج ومأجوج ؟ هي أسئلة لا مسوِّغ لها لأن القرآن الكريم هو كتاب هداية إلى رب العباد وليس كتاب تاريخ لسرد الوقائع والحوادث ، والأسماء والأزمنة.

فكثير من المؤرخين والمفسرين حاول تعريف بعض الأمور المبهمة في قصة ذي القرنين، وجاءوا بشأن ذلك بأقوال وآراء عديدة معظمها مأخوذ من الإسرائيليات، وفيها من الأساطير والأقاويل والأباطيل والخرافات الشيء الكثير ، حيث تمخض عن ذلك اختلاف كبير وجدال بين المؤرخين والمفسرين ، على سبيل المثال فيما يتعلق باسم ذي القرنين ،وزمان وجوده، ونسبه، وسبب تلقيبه بذي القرنين نجد أن أقوال وآراء المفسرين متضاربة وأدلتهم متعارضة واعتماد الكثير منهم على الإسرائيليات والروايات والأخبار الكاذبة .

وبالاطلاع على الكتب التي تحدثت عن ذي القرنين (١٤) تبين للباحث نتيجة مؤداها أنه لا يمكن الجزم بتحديد شخصية ذي القرنين، ولا تحديد أوقات الرحلات الثلاثة التي قام بها والتي أشار إليها القرآن الكريم

ولا معرفة مكان السد الذي بناه على الأرض .

وبما أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لم يتعرضا إلى تلك الأمور وأنهما سكتا عن إعطاء تفاصيل فلا يوجد دليل يقيني عليها ، ولذلك فإن كلام المؤرخين والمفسرين والعلماء عنها يبقى من باب الظن وليس من باب الجزم(١٥) .

وردت أقوال متعددة حول شخصية ذي القرنين فمنهم من قال إنه الإسكندر المقدوني اليوناني لاتساع رقعة البلاد التي بسط سيطرته عليها حيث امتدت إلى مشارق الأرض ومغاربها ، ومنهم من قال هو قورش الإخميني بسبب حسن سيرته وعدله مع الأمم التي خضعت له ، وقد قيل أيضا إنه أبو كرب شمر بن عمرو الحميري .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأستاذ محمد خير رمضان يوسف توصل إلى نتيجة – بعد أن ناقش الأقوال السابقة – مؤداها أن ذا القرنين لم يكن واحداً من الثلاثة المذكورين حيث استطاع أن ينقد نقدا علميا متينا فنَد فيه آراء كل من قال إنه الإسكندر ، أو قورش ، أو الحميري .

وقال : إن النتيجة التي وصلت إليها هي أن : " ذو القرنين الذي ذكره الله عز وجل في كتابه العزيز ، وأثنى عليه بالإيمان والإصلاح والعدل في سورة قرآنية عظيمة وآيات إعجازية جليلة وقصة تاريخية نادرة مليئة بالدروس والعبر طافحة بالعظات والمبادئ والحكم ... إنه علم قرآني بارز ... خلّد الله تعالى ذكره في كتابه الخالد فاستحق أن ينال اللقب القرآني ... وكفى... ولم أشأ أن أقول غير هذا، لأنني لم أر من أعطى شخصية ذي القرنين حقها في التاريخ مثلما أعطى لها الله عز وجل في كتابه العظيم، فقد وصل ملكه مشارق الأرض ومغاربها، ولم يغره منصب ولا مال ولا قوة ولا سلطان لا هيمنة و وإنما بقي ذلك العبد الذاكر لفضل ربه ورحمته ومستعدا لليوم الآخر ليلقى جزاءه العادل عند الله عز وجل . ويكفي أن يبقى ذو القرنين تلك الشخصية العظيمة في التاريخ، وذلك العلم البارز في العدل والإصلاح والقيادة ومثال الحاكم الصالح على مر التاريخ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بشهادة الكتاب الخالد . "(١٦) .

لا أحد يعلم يقينا وتحديدا من هو ذو القرنين. وكل ما نعلمه عنه ما أخبرنا القرآن الكريم عنه على أنه ملك صالح ، آمن بالله ربا إلها واحدا لا شريك له ، وآمن بالله وبالبعث وبالحساب ، فمكّن الله تبارك وتعالى له في الأرض ، وقوّى ملكه.

كان ذو القرنين حاكما صالحاً قد مكّن الله سبحانه وتعالى له في الأرض أسباب الحكم والقوة والسلطان ، ويسّر له أسباب الحكم والفتح وأسباب العمران والبنيان بالعدل وقوة البأس ، وكذلك هيأ له الله عز وجل

أسباب العمران والبنيان بالحزم والفهم ، فساد البلاد ، وساس العباد ، ولأنه أحسنَ السيرة في الرعيّة ، فقد نال حبّ الجميع وتعلقوا به وأطاعوه .

لقد كان من شأنه أن خرج من دائرة حدود بلاده وأقطار حكمه ، يسيح في الأرض بأمر الله عز وجل شرقا وغربا على رأس جيش قوي ، كبير العدد يسدُّ الأفق كالجراد المنتشر، يقيم العدل في أرض البشر ، وليرفع عن كاهل الناس أثقال الظلم ووطأة الشرور البشرية.

هكذا دوما عباد الله الصالحين يكونون في كل زمان ومكان يلتزمون أوامر الله سبحانه وتعالى ، ولا يبغون في الأرض الفساد.

معنى الآيات :

هذا الرجل تبدأ قصته بسؤال المشركين للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين ، في قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ) [الكهف:٨٣]، ويأتي الجواب من الله جل وعلا: (قل) يا محمد! وكلمة (قل) يسميها علماء التفسير وعلماء اللغة (قل) التلقينية، أي: القصة ليست من عند رسول الله، بل هي وحي من عند الله جل وعلا، يأمر به المصطفى أن يقول لمن سأل عن ذي القرنين : (قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا) [الكهف:٨٣]، وكلمة (منه) من فيها هي التبعيضية، أي: سأتلو عليكم بعض الشيء من قصته، ولا أتلو عليكم قصة ذي القرنين بكامل فصولها، كما ذكر القرآن قصصاً بكاملها في كثير من السور، كقصة يوسف وقصة موسى، بل سأتلو عليكم منه ذكراً، سأتلو عليكم بعض الشيء من قصة ذي القرنين.(١٧)

ولو علم الله في الزيادة عن النص القرآني خيراً لذكرها لنا. فلنقف عند ما ورد في القرآن، وعند ما ثبت في حديث النبي عليه الصلاة والسلام.

التمكين في الأرض من الله عز وجل :

قال الله تعالى: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ) [الكهف:٨٤]، فمن الذي مَكَّنَ لذي القرنين ؟ الله. (وَءاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) [الكهف:٨٤]، الذي مكن له هو الله، أعطاه من الأسباب ما استطاع به أن يفتح وأن ينتصر وأن يجوب البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً... الخ .

ولفظة التمكين إن فتشت عنها في القرآن سترى أنها في كل مرة وردت تنسب إلى الله رب العالمين، وهذه قاعدة إيمانية ينبغي أن تؤصل في القلوب. فالذي يُمَكِّن للدول والأمم والشعوب هو الله، والذي يمكن لهذا الحاكم هو الله، والذي يأمر بزوال وهلاك هذا الحاكم هو الله، فيجب علينا جميعاً أن تتعلق قلوبنا بالملك الذي يفعل

كل شيء، مع الأخذ بالأسباب، فهذا من حقيقة التوكل على الله عز وجل. لا تسود أمة إلا بإذن الله، ولا تزول أمة إلا بإذن الله، ولا يسود حاكم إلا بإذن الله، ولا يزول حاكم إلا بإذن الله (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ) [الكهف:٨٤] . وقال الله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [آل عمران:٢٦] ثم قال الله تعالى: (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ❖ فَأَتْبَعَ سَبَبًا) [الكهف:٨٥٨٤]، أي: بأسباب التمكين والنصر والفتح والظهور. فهناك من الأمم من يمكن الله لها، فتأخذ بأسباب التمكين، فيزيدها الله ثباتاً وتمكيناً، فإن فرطت أذهب الله عنها التمكين. (١٨)

وهناك من الحكام من إذا مكن الله له أخذ بوسائل التمكين، فزاده الله رفعة ونصراً فإن فرط في هذه الأسباب والوسائل أمر الله عز وجل بزواله وهلاكه.

١**رحلة ذي القرنين الأولى :** ويبدأ ذو القرنين الرحلة الجهادية الأولى في سبيل الله نحو المغرب. قال تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا) [الكهف:٨٦] ومن المعلوم أن الشمس ليس لها مشرق واحد ولا مغرب واحد ، مشارق ومغارب بحسب فصول السنة وأيامها وشهورها ، لها مشارق ومغارب بحسب الأماكن، لها مشارق ومغارب بحسب رؤية الرائي إلى قرص الشمس أثناء الشروق أو الغروب. (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ) [الكهف:٨٦] فبين ذو القرنين منهجه العادل ودستوره الحكيم (١٩) : (أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا)[الكهف:٨٧] وأما من آمن ووحد الله عز وجل واستقام على منهج الله ، (فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) [الكهف:٨٨].

٢**رحلة ذي القرنين الثانية :** ثم انطلق نحو المشرق في رحلة ثانية ، قال تعالى : (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) [الكهف:٩٠] ، لا يحمي هؤلاء الناس والقوم شيء على الإطلاق ، لا يحول بينهم وبين الشمس شيء . ثم قال سبحانه وتعالى: (كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا) [الكهف:٩١] ، أي: علم الله عز وجل كل ما يدور في قلبه وفي نفسه.(٢٠)

٣ **رحلة ذي القرنين الثالثة:** وتبدأ الرحلة الثالثة التي هي محل الشاهد في هذا الموضوع : قال الله تعالى :(حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) [الكهف:٩٣] بين جبلين عظيمين. (وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) [الكهف:٩٣].

لا يعرفون لغة ذي القرنين ، أو لا يستطيعون أن ينفتحوا على غيرهم من الأمم ، فهم قوم منعزلون على

أنفسهم ، تعرضوا لأشد الهجمات ، وأعنف الضربات على يد يأجوج ومأجوج ، فلما رأوا ذا القرنين الملك الفاتح العادل ، توسلوا إليه ، وانطلقوا وقوفاً بين يديه ، وقالوا: (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) [الكهف:٩٤]. هل نبذل لك من أموالنا ما تشاء وما تريد ، على أن تبني لنا سداً منيعاً يحمينا من يأجوج ومأجوج؟ فرد عليهم بزهد وورع وقال: لا حاجة لي في أموالكم (مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ) [الكهف:٩٥]. لقد أعطاني الله عز وجل من وسائل التمكين ما أغناني به عن مالكم ولكنه لمح فيهم الكسل، فأراد أن يشركهم في هذا المشروع العظيم، وفي هذا العمل الضخم، فقال لهم: ولكن! (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) [الكهف:٩٥] أي: قال بلغة العصر: أما عن التخطيط الهندسي والمعماري والإنفاق المادي لبناء هذا السد ، ولإقامة هذا المشروع ، فسنتكفل بذلك ، ولكننا في حاجة إلى العمال ؛ يحملون ويبنون ويقيمون هذا العمل ، فأعينوني بقوة من أنفسكم أجعل بينكم وبينهم ردماً. وأمر ذو القرنين- المهندس البارع الذي سبق علماء الهندسة المعاصرين بعدة قرون- بالبدء في المرحلة الأولى من مراحل هذا المشروع ، فقال: (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) [الكهف:٩٦] ، أي: اجمعوا لي قطع الحديد الضخمة.

فانطلق هؤلاء وجمعوا قطع الحديد الضخمة ، وأمرهم بوضع هذه القطع في مكان ضيق بين هذين السدين ، فلما وضعت قطع الحديد وساوت قمة الجبلين قال: انفخوا تحت هذه القطع النار المشتعلة التي تصهر هذا الحديد ، ولنا أن تتصور حجم هذه النيران التي اشتعلت لتصهر أطناناً من الحديد ، لا يعلم وزنها إلا العزيز الحميد ، أشعل النيران تحت هذا الحديد بين السدين حتى ذاب الحديد وانصهر، وكان يريد بذلك أن يسد على يأجوج ومأجوج الطريق الذي ينفذون منه إلى هذه الأمم المسكينة المغلوبة على أمرها!! قرر ذو القرنين أن يدخلوا في المرحلة الثانية من مراحل البناء ، ألا وهي أن يذيبوا النحاس حتى ينصهر. فلما انصهر النحاس ، أمرهم بصب النحاس على الحديد ، فتخلل النحاس مع الحديد ، فأصبح النحاس والحديد معدناً واحداً ؛ ليزداد صلابة وقوة ، فلا يستطيع قوم يأجوج ومأجوج أن يتسلقوه أو أن ينقبوه. وبذلك يكون قد سبق العلم المعاصر في تقوية الحديد بالنحاس ، واستطاع أن يساوي بين الصَّدَفين بهذا الحديد وبهذا النحاس؛ وبعمله هذا تتبين لنا سمات القيادة الفذة ، وسمات القيادة الناجحة، التي تستطيع أن تجمع بين الخيوط والخطوط ، والتي تستطيع أن تجمع بين المواهب والطاقات والقدرات والإمكانيات ؛ لتستغل الموارد والطاقات أعظم استغلال.(٢١)

أهمية اتصاف القائد بالحنكة والإيمان :

وما أحوج الأمة إلى هذه القيادة الفذة ، فكم في الأمة من طاقات معطلة ؟! وكم في الأمة من مواهب ضائعة ؟! وكم في الأمة من موارد مهدرة ؟! وكم في الأمة من شباب حيارى ؟! كل هذه الطاقات وكل هذه المواهب وكل هذه الإمكانيات في حاجة إلى قيادات فذة فريدة لا تجامل أحداً على الإطلاق على حساب المصلحة ، وهذا ما بينه لنا أيضاً ذو القرنين ، عندما قال : أما من آمن فله الجزاء الأوفى ، وأما من ظلم فله العذاب . ما أحوج الأمة كذلك إلى هذا الدرس ، الذي يبين لنا ذو القرنين به منهجاً في التنظيم الوظيفي والإداري ، لو عملت الأمة به لسعدت!!

ذو القرنين يبين لنا سمات القيادة الناجحة ، فلما نظر إلى هذا الصرح العظيم لم تسكره نشوة القوة والعلم، ولم يقل : هذا هو فن الإدارة، لم يقل: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي)[القصص:٧٨]. وإنما نسب الفضل لصاحب الفضل جل وعلا ، فقال: (هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي) [الكهف:٩٨] . ثم بين معتقده الصافي في الإيمان بالبعث ، والإيمان بيوم القيامة ، فقال لهم : إن الذي أمر ببناء هذا السد هو الله ، وحتماً سيأتي يوم على هذا السد المنيع ؛ ليجعله الله عز وجل دكاء ، أي: يسويه بالأرض كما يسوي جبال الأرض كلها بالأرض ، وذلك لا يكون إلا بين يدي الساعة (٢٢) قال الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ❖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ❖ لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ❖ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ❖ يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ❖ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ❖ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) [طه:١٠٥-١١١] . قال الله تعالى على لسان ذي القرنين : (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) [الكهف:٩٨] . هكذا يبين ذو القرنين العقيدة الصافية في الإيمان بالبعث ، في الإيمان بيوم القيامة وعلاماته الكبرى ، يأذن الحق تبارك وتعالى ليأجوج ومأجوج في الخروج ، حينئذ يستطيعون أن يثقبوا هذا الثقب ، وأن يخرجوا إذا قدر الله عز وجل الوقت المعلوم لخروجهم.(٢٣)

المطلب الثالث

المضامين الإدارية المستنبطة من قصة ذي القرنين

تضمنت قصة ذي القرنين أكثر من خمسة وعشرين صفة يجب توافرها في القائد أو المدير الناجح ، حيث جمعت جمعا عجيبا بين الصفات الفنية والأخلاقية الواجب توافرها في القائد أو المدير الناجح وذلك على النحو التالي(٢٤) :

التمكين : أول ما يستوجب تمام القيادة أن يكون القائد ذو صلاحيات تمكنه من تحقيق الأهداف المطلوبة منه ولهذا كانت بداية القصة (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وءاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِ شَيْءٍ سَبَبَاً) [الكهف: ٨٤] .

العلم : العلم وسيلة يتسبب بها الإنسان إلي ما يريد، و سبب لتحقيق الأهداف و تحصيل النتائج، لذا كان علي القادة بذل الجهد في تحصيل العلم الذي يحقق متطلبات عملهم (وءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيء سَبَبَاً) [الكهف: ٨٤] .

الأخذ بأسباب العلم : لم يكتف القرآن بتحديد العلم فقط كصفة قيادة و لكنه أتبعه بضرورة العمل بهذا العلم و الأخذ بأسبابه فقال (فَأَتْبَع سَبَباً) [الكهف: ٨٥] .

المرجعية : القيادة وفق منهج واضح المعالم قائم علي نظرية الثواب و العقاب و لا يترك الناس لهواهم (قُلْنَا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمَّا أَنْ تَتَخِذَ فِيهِم حُسْنَا) [الكهف: ٨٦] .

العدل : الحكم بين الناس بالعدل مبدأ يكفل راحة و طمأنينة الرعية و المرؤوسين ومن شاكلهم، فالظالم يؤخذ علي يديه لتستقر الحياة و يأمن الناس (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ... أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُه ...) [الكهف: ٨٦-٨٨] .

التحفيز لإجادة العمل : شكر من أحسن عمله يكون حافزا له علي الإجادة و الصلاح، وقد يكون أيضا بتذكيره بمردود هذا العمل عليه في الدنيا أو الآخرة (...فَلَهُ جَزَاءً الحُسْنَى وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً) [الكهف: ٨٨] .

ديناميكية الحركة : القائد الناجح هو الذي يجوب نطاق عمله من أوله إلي آخره و لا يجلس في مقر قيادته وينتظر من ينقل إليه الأخبار، ولذا طاف ذو القرنين في أرجاء ملكه شرقا وغربا ليحقق ما أراد الله منه باستخلافه علي الأرض (حَتّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ...) ، (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ...) [الكهف ٨٦ ، ٩٠] .

التواصل و الاستماع للشكوى : لابد للقائد الناجح من فتح قنوات اتصال بينه و بين من هو مسئول عنهم، وأن يستمع إليهم علي كافة درجاتهم وطوائفهم، وأن يكون الاتصال مباشرا دون عائق (قَالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ ...) [الكهف ٩٤] ، (قَالَ مَا مَكَّنِّي...) [الكهف:٩٥] .

ثم يأتي موقفا يمر عليه الكثيرون مرورا عابرا ، لكنه يرسم مجموعة من الصفات الأخلاقية في القائد عندما يعرض عليه رعيته مكسبا دنيويا مقابل القيام بعمل لهم فيرفض رفضا قاطعا و يفضل ثواب الله عليه (... فَهَل نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنا وَ بَيْنَهُم سَدّاً ❖ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيرٌ...) [الكهف ٩٤- ٩٥] ، و من الصفات المستنبطة من هذا الموقف الرائع :

- **غلق باب الكسب غير المشروع :** فلا يحق للقائد أخذ أجر علي عمل مكلف به إلا ممن كلفه بالعمل، فلا يقبل هدية أو عطية بسبب منصبه أو ما مكنه الله له.
- **الإحساس بالمسئولية :** عندما يشعر القائد بالمسئولية تجاه من يقودهم فإن هذا يكون دافعا لتحقيق مصالحهم دون التكسب من وراء ذلك .
- **العفة و طهارة اليد :** القائد الحق هو من لا يستغل حاجات رعيته و ينهب ثرواتهم بحجة أنه يقوم علي رعايتهم و تحقيق مصلحتهم .
- **نصرة المظلوم :** نصر المظلوم واجب لا يحتاج إلي مقابل .
- **العمل الجماعي :** و هذا بين في قوله (فَأَعِينُونِي ...) [الكهف : ٩٥] .
- **التوظيف الأمثل للطاقات البشرية :** فلقد وظف ذو القرنيين طاقات القوم فيما يحسنوا و طلب منهم العون بالقوة و ليس بالمال أو العلم .
- **وضوح التعليمات و الأوامر الصادرة من القيادة :** فلقد كان ذو القرنين محددا فيما يطلبه و واضحا وضوحا شديدا كما في قوله (ءَاتُونِي ... انْفُخُوا...) [الكهف : ٩٦] .
- **استغلال الموارد المتاحة :** فلقد استخدم ما لديهم من مواد مثل الحديد و النحاس و غيرها .
- **التعليم و التوجيه :** فلقد علمهم ذو القرنين كيفية بناء سدٍ منيعٍ .
- **التعليم بالعمل :** وأشركهم في العمل ليكون التعليم واقعا عمليا ملموسا و ليس نظريا .
- استخدام القوة في التعمير و الإصلاح .

- تحقيق المطلوب بأيسر الطرق و أقل خسارة ممكنة : فلقد كان ممكنا لذي القرنين أن يقاتل يأجوج و مأجوج و لكنه فضل عزلهم و دفع شرهم بأبسط الطرق .
- **التواضع و رد الفضل لله** : التوفيق من الله، و على كل قائد ناجح في مؤسسته أن يعلم أنه لولا توفيق الله له ما كان لينجح، و لذلك قال ذو القرنين (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي...) [الكهف:٩٨].
- ويستنبط أيضا أصول وسمات في مجال القيادة والإدارة الناجحة والفعالة في ضوء أحداث قصة ذي القرنين كما يلي(٢٥) :

❖ **الإيمان بالله:** فالقائد الناجح هو الذي تنبع قوته من إيمانه بالله العزيز الحكيم.. فإيمانه بالله هو الذي يرسم له منهجه في العمل وتعامله مع الآخرين، فهو صاحب رسالة نابعة من منهج الله عز وجل.. .فذو القرنين عبد من عباد الله الصالحين مكنه الله في الأرض وأتاه من كل شيء سببا فأتبع سببا. رسالته وتنقلاته في أنحاء المعمورة كانت للدعوة في سبيل الله ، هذا ما وضح من رحلته إلي مغرب الشمس و إلي مطلعها والي بقعة من الأرض يسميها القرآن الكريم بين السدين. ولقد اتسم حديثه دائما بذكر الله عز وجل والثناء عليه سبحانه، فلقد بدأ حديثه إلي شعب دون السدين بقوله : قال ما مكني فيه ربي خير ، وقال عندما انتهي من إقامة الردم بضخامته وإعجازه قال هذا رحمة من ربي.

❖ **أمانة القائد:** الأمانة سمة أساسية يجب أن تتوافر في القائد أو المدير الناجح ، فلقد وكل إلي ذي القرنين أمانة التعامل والتصرف مع القوم عند مغرب الشمس من قبل الله عز وجل قال الله تعالى: (قُلْنَا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وإما أَن تَتَّخِذَ فيهِم حُسْنًا) [الكهف : ٨٦] كذلك عندما شرع في بناء الردم كان أمينا علي ما في أيدي القوم من ثروات فعندما عرضوا عليه جعل خرج له نظير إقامة سد لهم لم يطمع فيما بأيديهم ، ولكن قال معقبا: (قَالَ ما مَكَّني فِيهِ رَبِّي خَيرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّة) [الكهف : ٩٥] . وكان أمينا علي ما في أراضيهم من ثروات ومعادن ، فرغم أن معه الجند الكثير إلا أنه أرادهم أن يكتشفوا بأنفسهم ما في أرضهم من ثروات معدنية وخامات فقال لهم: (ءَاتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ) [الكهف :٩٦] وقال: (ءَاتُونِي أُفْرِغ عليه قِطْرًا) [الكهف : ٩٦] وكأني أراه يحثهم بقوله: اذهبوا إلي أرضكم .. ثيروا لأرض .. اكتشفوا ما في باطنها من ثروات ومعادن .. ولا يطلع عليها أحد غيركم .. وكان أمينا علي أرواحهم فشرع علي الفور يقيم لهم ردما يحميهم من قوم يأجوج ومأجوج وذلك بمعاونتهم له بقوة.

تطبيق قانون الثواب والعقاب : التطبيق الفعلي لقوانين الجزاء والعقاب : (قَالَ أَمَّا مَن ظَلَم فَسَوْفَ نُعَذِّبه ثُمَّ يُرَدُ إِلَي رَبِّه فَيُعذِّبه عَذَابًا نُكْراً ❖ وَأَمَّا مَنْ ءَامَن وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الحُسْنى وَسَنَقُولُ لَه مِن أَمْرِنا يُسْراً) الكهف : [٨٧- ٨٨] ، فدستور عمل ذي القرنين الذي أوضحه في هاتين الآيتين الكريمتين يتلخص في :

الأمر الأول : معاقبة الظالم : بأن يوقع عليه عقابا دنيويا يظهر للجميع حتى يكون رادعا لكل من تسول له نفسه فعل المحرمات أو التقصير والإفساد في الأرض.

والأمر الثاني : هو مكافأة الأفراد المتميزين في أخلاقياتهم وعملهم : حيث تنقسم الحوافز عنده إلي: حوافز مادية وتمثلت في قوله : فله جزاء الحسني ، وحوافز معنوية جاءت في قوله (وَسَنَقولُ لَه مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً) [الكهف : ٨٨] أي سنثني عليه بالقول ونكرمه ونعلي من شأنه .

المهارات في التعامل مع مختلف الجنسيات : فقد ورد في قصة ذي القرنين أنه ذهب إلي عدة بقاع من الأرض وهي مغرب الشمس ومطلعها وبين السدين الأمر الذي يلفت انتباهنا إلي أن ذا القرنين قد تعامل مع جنسيات مختلفة وفي بقاع متعددة.

وفي هذا إشارة إلي أن المدير أو القائد الناجح لابد أن تكون لديه القدرة علي التعامل والتكيف مع أنماط عدة من البشر. كذلك ضرورة أن يجيد التخاطب والتفاهم بلغات مختلفة ، فعندما ذهب ذو القرنين إلي مغرب الشمس تحدث مع القوم بلغتهم ، كذلك عند مطلعها، وعندما التقى بالقوم عند دون السدين وهم لا يكادون يفهمون قولا ، فتوفر وسائل الاتصال بين القادة والمرءوسين ضرورة حتمية لقيادتهم وتحقيق الأهداف المرجوة.

قدرات وخبرات :

القدرات الذاتية والخبرات للقائد أو المدير: فلقد أشار القرآن الكريم في سياق آيات القصة إلي أن القائد لابد أن يكون أهلا للثقة والخبرة ، والإشارة لكونه أهلا للثقة جاءت في قوله سبحانه : (قُلْنا يَا ذَا القَرْنين إِمَّا أَن تُعذِّبَ وإِمَّا أَنْ تَتَخِذَ فِيهم حُسْناً) [الكهف : ٨٦] ، والإشارة لكونه أهلا للخبرة : (كَذَلِك وَقَد أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْه خُبْرَا) [الكهف : ٩١] ، وهي خبرة جاءت بصيغة النكرة دليلاً علي تعددها وتنوعها ما بين خبرة إدارة وخبرة في فنون القيادة وخبرة علمية ومهنية في مختلف المجالات ، وهي بالطبع تساعد على اتخاذ القائد أو المدير للقرار المناسب إزاء كل موقف حسبما تقتضيه ظروفه. يقول الله تعالى : (وَنَزَّلنا عَلَيكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِ شَيءٍ وَهُدى وَرَحْمةً وَبُشرَى للمُسْلِمين) [النحل : ٨٩] ، والدارس لعلم الإدارة والناظر المتفحص في كتاب

الله يجد أن القرآن يحوي في آياته وقصصه كثيرا من المفاهيم الإدارية التي يحتاج إليها المسلمون قادة وجنوداً ولا يمكنهم الاستغناء عنها في عملهم وحركتهم وسعيهم في طريق النصر والتمكين. فإنجاز أي عمل علي الوجه الأكمل لا يتم إلا بالثقة المتبادلة بين القادة ومرؤوسيهم فلابد للقادة أن يمنحوا الثقة لتابعيهم ويشعروهم بها ويذكوا فيهم قدراتهم الذاتية.. وقد أعلن ذلك ذو القرنين وهو يتحدث إلي هذا الشعب المتكاسل الذي لا يجيد إلا دفع الخراج بقوله فأعينوني بقوة.

وكأنه يقول : ليس بالخراج يشتري أمنكم ولكن بقوة أبدانكم وفكركم تصنعونه ، فنجح بأن يحولهم إلي طاقات بشرية هائلة نفذت أكبر ردم.

تحديد الرؤى المستقبلية : القادة لابد أن يكون لهم رؤية مستقبلية كي يستشعروا بها الأحداث الآتية برؤى مدروسة ومنطقية ويقيموا عليها المتطلبات اللازمة لتحقيقها ، فلقد رأي ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج بكثرتهم سيعيثون في القوم فسادا طيلة حياتهم وحياة ذرياتهم من بعدهم .

كانت هذه هي الرؤية المستقبلية، وبدراستها جيدا وضح الهدف ومتطلبات تنفيذه ، وهو ضرورة إقامة ردم ضخم على أعلي تقنية يمنع هجمات يأجوج ومأجوج ويبقى أبد الدهر، لذا هتف فيهم قائلا: (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُم وَبَيْنَهُم رَدْمًا) [الكهف : ٩٥].

القدرة علي إدارة الاجتماعات: إذا نظرنا كيف أدار ذو القرنين اجتماع شعب في أزمة ، فسنرى أنه بدأ بالاستماع إلى القوم أولا وهم يعرضون عليه أزمتهم قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا علي أن تجعل بيننا وبينهم سدا. وهنا أصبح الموقف يستلزم تهدئة الحضور والسيطرة علي زمام الأمور حتى يتهيأ الجميع لتلقي المهام. فما كان من ذي القرنين إلا أن بدأ حديثه بالثناء علي الله تعالي وما منّ عليه من إمكانيات كثيرة فأشاع جوا من الطمأنينة قال : ما مكني فيه ربي خير. كذلك احترم رأي الآخرين ولم يوجه إليهم نقدا فيما أبدوه من حل لازمتهم حتى لو كان فيه ما يثير حفيظته بعد أن عرضوا عليه أن يقدموا له الخراج ، فلم ينفعل وقال بهدوء ما مكني فيه ربي خير.. ثم بدأ في جذب اهتمام الحضور واستثار عقولهم فهتف فيهم : فأعينوني بقوة. وهذه هي النقاط التي يجب أن يراعيها القائد في إدارة اجتماعاته .

إجادة التخاطب مع الغير : كما أنه أجاد التخاطب فالقوم لا يكادون يفقهون قولا ، وكان له في هذا عذر في عدم مساعدتهم ، لكنه اجتهد في الوصول إلي وسيلة للتخاطب معهم والتأثير فيهم ببلاغة منطقه وقوة

حجته مبينا لهم ما سيكون لهم من ثمرة جهدهم ألا وهو صناعة أمنهم ، وكان ذلك من خلال رسالة قوية وبليغة ومختصرة جمع بها شتاتهم ليحولهم إلي قوة بشرية هائلة تنفذ اكبر مشروع علي الأرض.

القدرة علي اتخاذ القرارات : وذلك يستلزم مراحل مدروسة أولها : تحديد المشكلة، وفي حالتنا هذه إغارة يأجوج ومأجوج علي القوم والإفساد فيهم ، فقد كان واضحا أن القوم لا يملكون سبل استثمار طاقتهم البشرية وثرواتهم وهو ظهر ذلك في حديثهم لذي القرنين.

ثانيا : جمع البيانات حول هذه المشكلة.

ثالثا : الحكمة في الاختيار بين البدائل المتاحة ، فقد رأي أن أحسن البدائل في هذه الأزمة هو إقامة مانع حصين بالموارد المتاحة بين القوم وبين يأجوج ومأجوج.

رابعا : رسم خطط التنفيذ ، وهذه لابد أن يكون لها تصور كامل في فكر القائد كيف يخطط ، وكيف تكون البداية ، وكيف يستثمر كل الإمكانيات ، وما هي معدلات الأداء المطلوبة لإنهاء العمل علي الوجه الأكمل وفي الموعد المحدد .

خامسا: القرارات التي أصدرها ذو القرنين، ولقد جاءت بقوة علي النحو التالي : آتوني زبر الحديد. انفخوا. آتوني أفرغ عليه قطرا.

سادساً: متابعة تنفيذ القرارات ، فلقد كان ذو القرنين بينهم.. يده بيدهم.. وهم يقيمون الردم.. لهم مهامهم.. وهو أيضا له مهام ينفذها.. ويتابع مراحل التنفيذ وهو بالقرب منهم. فالاتصالات الفعالة بين القائد والتابعين من أهم أساسيات إدارة الأزمات.

إدارة الوقت : فالسياق القرآني الجليل في هذه القصة يلفت أنظارنا إلي أهمية عامل الوقت والاستخدام الأمثل له ، وذلك من خلال إشارات لطيفة في أثناء تنفيذ الردم ، فبعد عرض فكرته عليهم بدأ في التنفيذ علي الفور بقوله آتوني زبر الحديد فإذا انتهت مرحلة بدأ بما بعدها حتى إذا ساوي بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا. وبدراسة مراحل تنفيذ مشروع الردم الذي أقامه ذو القرنين بمعاونة القوم له.. ترى أن هناك عدة أنشطة قد بدأت معا استثمارا للوقت وعدم إضاعته حتى أننا نستطيع أن نؤكد أن الشعب كله كان في حالة استنفار، حيث توزعت المسئوليات وأدى جميع أفراد المجتمع دوره بإتقان وفي تسلسل متتابع لمراحل تنفيذ الردم.

القدرة علي تكوين فرق العمل: فقد أشار القرآن الكريم في هذه القصة الرائعة بأن هناك فرق عمل تكونت

لتنفيذ هذا العمل المعجز، ولقد وزع ذو القرنين أدوارا أو مراحل للعمل ، ونسق بينهم ، فهذا فريق لإحضار الحديد، وتكوَّن فور قوله آتوني زبر الحديد وما يستلزم هذه المهمة من التنقيب عن خام الحديد والكشف عن مناجمه وإعداده علي الصورة التي طلبها ذو القرنين ، وفريق للتجهيزات والمعاونة ، وهذا الفريق يتولي تعبيد الطرق وإعدادها من مواقع الحديد والنحاس وأفران صهره حتى موقع الردم.

والمعاونة فيما تستلزمه المساواة بين الصدفين والذي يتولاه ذو القرنين ، وفريق لإيقاد النيران، وهو يتولى إعداد مواد وخامات الاشتعال وأدوات النفخ ، وفريق آخر لإعداد النحاس المذاب وهو يتولي اكتشاف خام النحاس ونقله إلي أفران صهره ثم توجيهه إلي موقع الردم عندما يطلبه ذو القرنين. وهذا كله قد وضح من قول ذي القرنين إجمالا دون الدخول في هذه التفاصيل بقوله: آتوني أفرغ عليه قطرا ، وكان لابد لهذه الفرق أن يتولوا إدارة أنفسهم وكأن ذي القرنين قد فوض بعضا من مهامه الإشرافية لأفراد من الشعب ، وهذا ما نطلق عليه في إدارة الأعمال التفويض، ولقد نجحوا في هذا، وهو ما تنادي به النظريات الحديثة في القيادة وإدارة الأعمال.

التغيير إلي الأفضل :

القادة والمديرون يجب أن يكونوا قادة تغيير إلي الأفضل ، فهكذا أراد ذو القرنين فحول هذه الأمة من أمة تشتري سلامتها إلي أمة تصنع سلامتها ، ومن شعب متكاسل إلي فرق عمل متعاونة تسعى بجد لتحقيق أمنها من خلال انجاز مشروعها الضخم، فأكسبهم ذلك قيماً جديدة تمثلت في حب العمل واكتساب مهارات جديدة وتقدير قيمة الوقت والكشف عن مصادر ثرواتهم وبث روح التعاون بينهم.

إنكار الذات والتواضع : فالقادة يجب أن يعظموا أهداف المنظمة وينكروا ذاتهم في سبيل الجماعة لينالوا ثقة الآخرين واحترام مرؤوسيهم لهم ، ولقد ضرب لنا ذو القرنين المثل الأعلى في هذا بقوله : قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما، وهو بهذا يقول لهم: لم آت إليكم من أجل المغنم، ولكن جئت متطوعا أطلب العون منكم بقوة ، فهو الممكن في الأرض يطلب العون ليبني الردم، وينصهر مع الشعب ،ثم لا يغتر بعمله تواضعاً لله عز وجل.

معايير لتقييم الأداء : وضع معايير عالية لتقييم الأداء يتضح ذلك في الآية الكريمة: (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوه وَمَا اسْتَطَاعُوا لَه نَقباً) [الكهف : ٩٧] ، فالقرآن الكريم يعلمنا أن كل عمل يعمله الإنسان لابد أن يكون مؤدياً للغرض الذي أقيم من أجله. فالردم الذي تم بناؤه بين يأجوج ومأجوج والقوم المستضعفين لابد أن يحقق هدفين ، الأول: أن يكون من المتانة والقوة بحيث لا يمكن أن يحدثوا فيه ثقباً ينفذوا منه ، والثاني: أنه

عال جداً يصعب عليهم أن يتسلقوه ولقد حقق تنفيذ الردم هذين الهدفين.

نؤكد هنا أن على القادة حين يخططون لتنفيذ الأهداف أن يضعوا نصب أعينهم أعلى معايير لجودة الأداء ليصلوا بفرقهم إلى أفضل النتائج ، وعليهم أن يقيموا ما أتموه من عمل على المعايير المطلوبة له، فها هو ذو القرنين بعد أن تماسك الردم وتم العمل ينتقل إلي مرحلة اختبار العمل، وكأنه يقول لهم: حاولوا أن تظهروه.. حاولوا أن تنقبوه.. فلم يستطيعوا .

النتائج :

ذكرت قصة ذي القرنين في القرآن الكريم مرة واحدة .

١. لم ترد تفاصيل أخرى للقصة مثلما ورد في قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف.
٢. اشتملت قصة ذي القرنين على مفاهيم إدارية مثالية كثيرة ، فعلى سبيل المثال: ورد بها ما يزيد عن خمس وعشرين صفة مستنبطة من الصفات الواجب توافرها في القائد أو المدير الناجح .
٣. جمعت هذه القصة جمعا رائعا بين الصفات الفنية والأخلاقية الواجب توافرها في القائد أو المدير الناجح .
٤. في نفس الوقت ورد بها مفاهيم إدارية راسخة يمكن تطبيقها في مجالات عديدة منها : إدارة الموارد الطبيعية – إدارة الموارد البشرية- إدارة الإنتاج- إدارة المشاريع- إدارة الأزمات- إدارة الوقت- الاتصال الإداري- التحفيز- الإدارة الهندسية والإنشاءات- اتخاذ القرارات- بما تتطلبه هذه المجالات من تخطيط وتنظيم وتوجيه وتنسيق ورقابة .

٥الفكر الإداري الإسلامي متفوق بكثير على الفكر الإداري الحديث من حيث سلامة مكوناته ومحتواه وقابلية تطبيقه في مختلف المواقف والأحوال .

التوصيات :

١. العمل على ربط حاضرنا بأحسن القصص .
٢. تطبيق ما ورد في قصة ذي القرنين من مضامين إدارية في حياتنا العملية من أجل مهنية أكبر في إدارة المشاريع .
٣. القيام بدراسات إدارية تأصيلية للازدهار والتقدم في مختلف مجالات الحياة .
٤. دعم هذه الدراسات من الجهات المعنية والمختصة .

٥ تحفيز المختصين لإجراء الدراسات التأصيلية في مختلف المجالات بشكل عام وفي مجال الإدارة بشكل خاص وذلك من خلال منح الجوائز وما شابه ذلك .

٦ الحفاظ على الفكر الإداري الإسلامي منسوبا إلى مصادره الأصلية .

الخاتمة :

إن سيرة ذي القرنين تذخر بالعديد من النجاحات في شتى المجالات التي عُرضت له ، وتعرض لها ، وفيها جميعا قد أبرز قيمة العمل الصالح، وأرسى قواعد الإدارة الصالحة الناجحة ، ففي موقع مغرب الشمس أقام مجتمعا عاملا ومنتجا في ظروف البيئة الزراعية ، وفي موقع مطلع الشمس شيَّد مجتمعا صالحا بما يتناسب وقسوة وجفاف البيئة الصحراوية ، أما في موقع بين السدين فقد تعلم القوم هناك كيف وبأيديهم يبنون أمنهم ، وهكذا أقام وشّيَد وبنى صروحا من العمل الصالح .

الهوامش :

أبو زيد ، حمدي بن حمزة (١٤٢٥ هـ) " فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج " ، السعودية ، الناشر : المؤلف نفسه ، ط١ على موقع :

http://www.aljlees.com/1s6198226-2936.html

النمر ، د. عبد المنعم " ذو القرنين شخصية حيرت المفكرين أربعة عشر قرنا وكشف عنها أبو الكلام أزاد " ، مجلة العربي العدد ١٨٤ ، الكويت على موقع :

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=100168

مكانسي ، عثمان قدري " تأملات تربوية في قصة ذي القرنين " ، ٢٠٠٧/١١٨م على موقع مداد . http://www.midad.com/article/205199

ابن كثير ، اسماعيل " البداية والنهاية ، الجزء الثاني ، خبر ذي القرنين " ، على موقع . http://ar.wikisource.org/wiki

النابلسي ، د. محمد راتب " موسوعة النابلسي " بتاريخ ١٩٨٧/١٢٤م ، على موقع

http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=2302&id=97&sid=101&ssid=277&sssid=278 .

آل فارس ، خالد " لمحات من صفات القادة في قصة ذي القرنين " ، على موقع ملتقى أهل التفسير . http://vb.tafsir.net/tafsir28710/

السيد ، د. السيد حامد " أسس القيادة والإدارة في ضوء قصة ذي القرنين " ، مجلة حراء العدد ٣٥ على موقع http://www.hiramagazine.com/ .

توفيق ، جميل أحمد (١٩٨٦ م) " إدارة الأعمال – مدخل وظيفي " ، بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص٢٣٢ .

المرجع نفسه ، ص٢٠٨ .

المرجع نفسه ، ص٢٠ .

علوش ، محمد " الإدارة الإسلامية خصائص ومميزات " ، على موقع http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-58-8943.htm .

المرجع نفسه ، نفس الصفحة الإلكترونية .

جامعة قطر " الفتن الأربعة في سورة الكهف " ، على موقع http://www.qataru.com/vb/showthread.php?t=118913 .

يوسف ، محمد خير رمضان (١٩٩٩م) " ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح " ، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع ط٣ .

الخالدي ، د. صلاح (٢٠٠٧م) " من قصص السابقين في القرآن الكريم " ، دمشق : دار القلم ط٥ ، ٢٤٥/٦ ، ٢٥٥ .

يوسف ، محمد خير رمضان ، مرجع سابق ، ص٢٤٧،٢٤٩ .

حسان ، محمد " ذو القرنين ويأجوج ومأجوج " ، على موقع http://audio.islamweb.net/AUDIO/index.php?page=FullContent&audioid=14298

5 . المرجع نفسه ، نفس الصفحة الإلكترونية .

المرجع نفسه ، نفس الصفحة الإلكترونية .

المرجع نفسه ، نفس الصفحة الإلكترونية .

المرجع نفسه ، نفس الصفحة الإلكترونية .

المرجع نفسه ، نفس الصفحة الإلكترونية .

المرجع نفسه ، نفس الصفحة الإلكترونية .

آل فارس ، خالد ، مرجع سابق ، نفس الصفحة الإلكترونية .

السيد ، د. السيد حامد ، مرجع سابق ، نفس الصفحة الإلكترونية .

المراجع والمصادر :

القرآن الكريم .

آل فارس ، خالد " لمحات من صفات القادة في قصة ذي القرنين " ، على موقع ملتقى أهل التفسير http://vb.tafsir.net/tafsir28710/ .

ابن كثير ، إسماعيل " البداية والنهاية ، الجزء الثاني ، خبر ذي القرنين " ، على موقع http://ar.wikisource.org/wiki .

أبو زيد ، حمدي بن حمزة (١٤٢٥ هـ) " فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج " السعودية ، الناشر : المؤلف نفسه ط١ على موقع :

http://www.aljlees.com/1s6198226-2936.html

الخالدي ، د. صلاح (٢٠٠٧م) " من قصص السابقين في القرآن الكريم " ، دمشق : دار القلم ط٥ ، ٢٤٥/٦ ، ٢٥٥ .